

روح المعاني

على رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء ولا يوجد في شيء كتب الحديث المعتمدة وقد نهى النبي A : عن اتخاذ القبور مساجد ولعن على ذلك فكيف يتصور منه E الأمر بالاستغافة والطالب من أصحابها ! سبحانك هذا بهتان عظيم . وعن أبي يزيد البسطامي قدس سره أنه قال : استغاث المخلوق بالمخلوق كاستغاث المسجون بالمسجون ومن كلام السجاد رضي الله تعالى عنه أن طلب المحتاج من المحتاج سفه في رأيه وضلة في عقله ومن دعاء موسى عليه السلام وبك المستغاث وقال A لابن عباس رضي الله تعالى عنهما : إذا استعنت فاستعن بالله تعالى الخبر وقال تعالى : إياك نعبد وإياك نستعين .

وبعد هذا كله أنا لا أرى بأسا في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي A عند الله تعالى حيا وميتا ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته فيكون معنى قول القائل : إلهي أتوسل بجاه نبيك A أن تقضى لي حاجتي إلهي اجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتي ولا فرق بين هذا وقولك : إلهي أتوسل برحمتك أن تفعل كذا إذ معناه أيضا إلهي اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا بل لا أرى بأسا أيضا بالإقسام على الله تعالى بجاهه A بهذا المعنى والكلام في الحرمة كاللحام في الجاه ولا يجري ذلك في التوسل والإقسام بالذات البحث نعم لم يعهد التوسل بالجاه والحرمة عن أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

ولعل ذلك كان تحاشيا منهم عما يخشى أن يعلق منه في أذهان الناس إذ ذاك وهم قريبو عهد بالتوسل بالأصنام شيء ثم اقتدى بهم من خلقهم من الأئمة الطاهرين وقد ترك رسول الله A هدم الكعبة وتأسيسها على قواعد إبراهيم لكون القوم حديثي عهد بكفر كما ثبت ذلك في الصحيح وهذا الذي ذكرته إنما هو لدفع الحرج عن الناس والفرار من دعوى تضليلهم كما بزعمه البعض في التوسل بجاه عريض الجاه A لا للميل إلى أن الدعاء كذلك أفضل من استعمال الأدعية المأثورة التي جاء بها الكتاب وصدحت بها السنة السنة فانه لا يستريب منصف في أن ما علمه الله تعالى ورسوله A ودرج عليه الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وتلقاه من بعدهم القبول أفضل وأجمع وأمنع وأسلم فقد قيل ما قيل إن حقا وإن كذبا بقى ههنا أمران الأول إن التوسل بجاه غير النبي A لا بأس به أيضا إن كان المتوسل بجاهه مما علم أن له جاها عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه وولايته وأما من لاقطع في حقه بذلك فلا يتوسل بجاهه لما فيه من الحكم الضمني على الله تعالى بما لم يعلم تحققه منه عز شأنه وفي ذلك جرأة عظيمة على الله تعالى الثاني إن الناس قد أكثروا من دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم والأموات

وغيرهم مثل ياسيدى فلان أغثنى وليس ذلك من التوسل المباح فى شء واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك وأن لا يحوم حول حماه وقد عده أناس من العلماء شركا وأن لا يكنه فهو قريب منه ولاأرى أحدا ممن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحى الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى وإلا لما دعاه ولافتح فاه وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم فالحزم والتجنب عن ذلك وعدم الطلب إلا من الله تعالى القوى الغنى الفعال لما يريد ومن وقف على سر مارواه الطبرانى فى مجمعه من أنه كان فى زمن النبى A منافق يؤذى المؤمنين فقال الصديق رضى